عبادة الله والنِعمة

الكنيسةُ المارونيَّةُ تعبُدُ اللهَ المُثَلَّث الأقانيم منذ نشأتها وما تزال، وتُنشدُ له نشيدَ الحُبِّ السامي.

أحبَّائي، لقد اختارتِ **الكنيسةُ المارونيَّةُ** نصَّ حبَّة الحنطة في يوم عيد شفيعها القدِّيس مارون، لتقول للقاصي والداني أنَّها **كنيسة الثالوث الأقدَس** انطلاقًا من بستان الزيتون والآلام والصليب والموت والقيامة بالمسيح يسوع الفادي. وهي اليوم تحتفل أيضًا بأحد الكهنة وأسبوعهم، إذ كلُّ مُعمَّدٍ يؤمن بالمسيح وإنجيله وبأسرار الكنيسة السبعة وتعليمها القويم، هو كاهنٌ للمسيح الكاهن الأعظم في إطار الكهنوت العام يقبل ويستقبل خدمة الأسرار المُقدَّسة وأشباه الأسرار من الكهنوت الخاصِّ، أي من الكهنة الَّذين يخدمون كنيسة المسيح بكلِّ ما فيها. **فالكنيسةُ المارونيَّةُ تأسَّسَت على صخرة مارون الكاهن البارِّ** القدِّيس **الَّذي زهد** عن العالَم حُبًّا بالله الآبِ والابنِ والروحِ القُدُس، **وتنسَّكَ ليُصلِّي ويتأمَّل ويتألَّم** من أجل أن تؤمنَ النفوس بالمسيح يسوع إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً ما عدا الخطيئة، وربًّا فاديًا تنال به الخلاص. **وإذا كان مار مارون الكاهن قد غسلَ كنيسته وطهَّرها وعلَّمها الإنجيل بالدموع والصوم والصلاة والتبشير** قبل أن تنطلقَ للعلَن، **فهو قد تشبَّه بالمسيح يسوع الَّذي علَّم الكنيسة جمعاء الحقيقة في بشارته الخلاصيَّة وغسلها وطهَّرها بالدم والماء اللَّذان تدفَّقا من قلبه الأقدَس على الصليب. عَلِمَ مارون الكاهن الأمين أنَّ طريق الملكوت لا يُفتَح إلاَّ بالتخلِّي والموت عن الذات حُبًّا بالآخَرين** كما يُعلِّمُ المسيح الَّذي بذل ذاته حُبًّا بأحبَّائه تتميمًا لرسالة الآبِ السماويِّ ونفخ فيهم الروح القُدُس المُحيي. **وهذا هو الحُبُّ الأعظم والسامي** والمُتجرِّد من الأنانيَّة والمصالح الشخصيَّة، **الَّذي بالألَم التطهيريِّ المُشارِك في آلام المسيح الخلاصيَّة يُثمرُ طهارةً وعذوبةً وقداسة وحياةً أبديَّة.** وهكذا، **اتَّبع مارون الكاهن الأمين طريق الزُهد والألَم والحُبِّ السامي، فدخلَ طريق النور والحقِّ والحياة، مُتجاوزًا ليل التطهير** من الدنيويَّات ليتَّحِد بالحُبِّ الإلهيِّ، **شفيعًا لأبنائه** الَّذين تعلَّموا من فمه الإيمان المسيحيَّ القويم وتمثَّلوا بوهج رجائه المسيحيِّ الثابت وتبعوا خُطاه في عيش حقيقة الحُبِّ السامي.

أحبَّائي، **الكنيسةُ المارونيَّةُ تبقى كنيسة الثالوث الأقدَس بامتياز، لأنَّها أبَت إلاَّ أن تسير مسار الجلجلة** تشبُّهًا بفاديها المسيح وتحقيقًا لتدبير الآب السماويِّ الخلاصيِّ لبني البشر وذلك بقوَّة وإلهامات الروح القُدُس. **كم مرَّةٍ** منذ نشأتها في القرن الخامس **وهي تموت عن ذاتها** مثل حبَّة الحنطة لتُثمر ثمارًا كثيرةً؟! وهي على مثال شفيعها، تخدمُ المسيح ابن الله الحيِّ مطواعةً لعمل الروح القُدُس وإكرامًا للآب السماويِّ. لذلك، **تصرخُ الآن من جديدٍ في أيَّام الجُلجُلة هذه، وللمرَّة الأخيرة** قبل ولادة الأرض السماويَّة، **قائلةً بالروحِ القُدُس** كالمسيح: "**نفسي الآن مُضطربة، فماذا أقول؟** يا أبتِ، نجِّني من هذه الساعة؟ ولكن من أجل هذا بلغتُ إلى هذه الساعة! يا أبتِ، مجِّدِ اسمَكَ". وبالطبع، **كما سمع المسيح صوتَ الآب، فهي الآن تسمعُه في أنينِ جرحى القلوب وصرخاتِ المُتألِّمين وصوت طرقات مسامير صلب أبناء المحبَّة،** لذلك، **تصرخُ من عمق القلب** مُنشدةً: "**إرحم يا ربّ، إرحم شعبك. ولا تسخط علينا إلى الأبد**". **وفي هذه الصرخة رجاءٌ بأنَّ الحُبَّ الإلهيَّ المُثلَّث الأقانيم سيتدخَّلُ في الوقت المُناسب ليُطهِّرها** من الخطيئة والفساد **ويُزيل عنها ثقل**

الظلم وغُبار الحُسَّاد واعتداءات الأعداء وتسلُّط الجهلة والضالِّين وسموم الخُبثاء والكافرين. وبذلك، تَسمعُ صوتَ الآبِ يَصدحُ من السماء قائلاً لها: "**قد مجَّدتُ اسمي من خلالكِ وسأُمجِّدُه الآن**"، **فتقومَ الكنيسةُ المارونيَّة بقادتها** الأتقياء الأبرار الأمناء الحُكماء **وشعبها المُتألِّم** البسيط البريء الطَيِّب، **عروسةَ المسيح** الطاهرة المُقدَّسة، **هيكلاً جديدًا للروح** القُدُس **تَنعمُ بمُلْكِ الآب** السماويِّ الَّذي لا نهاية له.

أحبَّائي، **إذا كان مارون الكاهنُ أمينًا** لله المُثلَّث الأقانيم المُتساوي في الجوهر، **فنحن الكهنة أبناؤه لا يسعُنا إلاَّ التَشبُّه به** والسير على خُطى قداسته وبرارته وأمانته. لذلك، **لا يحسبنَّ أحدٌ أنَّ أسرار الكنيسة المُقدَّسة السبعة تُشترى وتُباع**، وبالأخصِّ سرَّ الكهنوت المُقدَّس، **كما حاول أن يفعلَ سيمون الساحر** المُشعوِذ الَّذي أُعجِبَ بالمعموديَّة، فتعمَّد على يدِ الرسول فيلبُّس. ولكنَّه لم يَتُب عن شرِّه، إذ لمَّا رأى الرسولَين بطرس ويوحنَّا (رسل8) يضعان الأيدي على المؤمنين المُعمَّدين ويهبهم الروح القُدُس تثبيتًا لمعموديَّتهم، طلب منهما موهبة الروح القُدُس مُقابل حفنةٍ من الفضَّة. **فأتاهُ الجوابُ من بطرس الرسول:** "لتذهب فضَّتُكَ معكَ إلى الهلاك... أراكَ في مرارة العلْقَم ورِباطِ المَعصية" (رسل8: 20–23). **فأسرارُ الكنيسة**، وبالمناسبة سرُّ الكهنوت، هي أسرارٌ **موهوبةٌ مجَّانًا من الثالوث الأقدَس لكلِّ مَن يؤمِن ويُحِبّ ويَرجو ويَتَّضِع ويرفَق ويصوم ويُصلِّي**. فإلهُ السلام يسوع المسيح، المُرسَلُ من عند الآب السماويِّ، قد افتدانا على الصليب ليَهبَنا إنجيله وجسده ودمه والروح القُدُس، فننال الحياة الأبديَّة. لذلك، **أنشَدَتِ النَفْسُ البشريَّةُ المؤمنةُ بسرِّ الحُبِّ الإلهيِّ هذا النشيد الَّذي تُنشِدُه اليوم الكنيسةُ المارونيَّة** في ذكرى شفيعها القدِّيس مارون وإكرامًا له: (كتبتُ بنعمة الله هذه القصيدة يوم الخميس، 30 كانون الثاني 2014)،

إلهُ السلامِ القديرُ تجلَّى. لطيفٌ أميرُ. (وُلِدَ يسوع المسيح إلهُ وأمير السلام ومصدرُ الجمال واللطف والطَلعةِ القديرة).

يَرومُ ٱمتلاكَ الجُسورِ الَّتي من رُباها يَطيرُ. (نزل من السماء وتَجَسَّد وأراد ٱمتلاكَ بشرِيَّتِنا. فتأنَّس بالروحِ القُدُسِ من مريمَ العذراءِ وأخذَ بشريَّتَنا جسرًا له، وأدخَلَها في الطريق الضَيِّق وأصعَدَها جبل الكمال ليُطهِّرَها من شوائبها ونقائصها وخطاياها، ثمَّ يَطيرُ بها من تلَّةٍ إلى تلَّةٍ صاعدًا بها إلى السماء. فالنَفسُ البشريَّة الَّتي تُريدُ يسوع حبيبَها الحقيقيَّ، تَقبَل صعودَ هذا الجبل وهي تَذرِفُ دموعًا وعرقًا وتتألَّمُ حُبًّا بالمسيح إلهِها الَّذي يُطهِّرُها، روحًا ونفسًا وجسدًا، ويُجمِّلُها بكلِّ النِعَم الَّتي يَسكبُها عليها لتتَّحِدَ في النِهايةِ بحُبِّه الإلهيِّ على الدوام، بعد أن تكون قد عبَرَت هذا العالَم الزائل).

وفي يَومِ جَهْدٍ وكَدٍّ تراءى بحُبٍّ يُنيرُ. (أحبَّنا يسوع الحبيب وبَشَّرَنا بالحُبِّ السامي وبإنجيل الخلاص، وجالَ من مكانٍ إلى آخَر وهو يدعو للتوبة وتَرْكِ الخطيئة والجهل والشرّ، ويُعلِّم ويُصلِّي ويشفي النفوس والأجساد ويطرُد الشياطين، إلى أنْ بذل ذاته عنَّا على الصليب حاملاً آلامنا وخطايانا، فأنارَنا بحُبِّه الإلهيِّ. هذه الحقيقة تُذكِّرُنا بأنَّ المسيح صنع هذه التضحية العظيمة من أجل خلاصنا، ليقول لكلٍّ منَّا: "مَن أرادَ أن يتبَعَني، فليَكفُر بنفسه، ويَحمِل صليبَه كلَّ يومٍ ويَتبَعْني" (لو9: 23). "تعالَوا إليَّ يا جميع المُتعَبينَ والمُثْقَلينَ بالأحمال، وأنا أُريحُكم. إحمِلوا نِيري علَيكم، وكونوا لي تلاميذ، لأنِّي وديعٌ ومتواضعُ القلب، فتَجِدوا راحةً لنفوسِكم" (مت11: 28–29)).

وناظرةُ السَهمِ تُرْخي الجِراحَ بقلبٍ يُضيرُ. (عَينَا الآبِ السماويِّ تُرسلُ سَهمَ الحُبِّ الإلهيِّ بنعمةِ الابن الوحيد يسوع المسيح وبقوَّةِ الرُوحِ القُدُس، وتَتَسَلَّلُ إلى قلوبنا الجائعة جوعًا شديدًا ومُؤلمًا لحُبِّه، وتَجرحُ قلوبنا الَّتي تَنتظرُ بشوقٍ ليس له من مثيل اتِّحادَها بهذا الحُبِّ المُعزِّي).

تَنادَتْ سِهامٌ يُصيبُ هُداها حريقٌ، سعيرُ. (سِهامُ الحُبِّ الإلهيِّ نادَت بعضها البعض وتجمَّعَت ثمَّ تَوَجَّهَتْ، وهي عارفةٌ عن يقينٍ ووعيٍ وبرشدٍ كاملٍ، إلى هدفها، أي القلوب البشريَّة الَّتي تحترق منتظرةً أن تجرحها سِهامُ الحُبِّ الإلهيِّ هذه. واحتراقُ هذه القلوبِ بشكلٍ مُستعرٍ وقويٍّ هو عمليَّةُ تطهيرٍ جذريَّةٍ لها من لطخة الخطيئة والموت وتحريرٍ لها من كلِّ ربطٍ شرِّيرٍ وشعوذةٍ أو ما شابه. لذلك، عندما تجرحُها سِهامُ حُبِّ اللهِ تنزفُ دمًا قرمزيًّا دلالةً على استشهادها في سبيل حُبِّ الله. هذا الاستشهادُ هو الحريقُ الَّذي يُطهِّرها ويُحييها ويمنحُها تعزيةً رهيفةً وساميةً، ويُعبِّرُ عن انفتاحِ باب السماء أمام هذه القلوب لتدخُلَ من خلالها لحظاتِ اتِّحادٍ بهذا الحُبِّ الإلهيِّ الشريف الطاهر والنقيِّ الَّذي يُنعش ويمنحُ السلام الداخليَّ الحقيقيَّ رَغمَ الألم والتوجُّع القلبيِّ).

ووهْجُ ٱختراقِ القلوبِ تَسامى. رقيقٌ نضيرُ. (وَهْجُ سِهامِ الحُبِّ الإلهيِّ يَخترِقُ قلوبَ عرائس المسيح ويَدخلُها بلطفٍ وسمُوٍّ ورقَّةٍ وعذوبةٍ ويَغوصُ فيها من خليَّةٍ إلى خليَّةٍ يمنحُها الطهارة والسلام والفرح والحُبَّ. وذلك، لأنَّ الحبيب قديرٌ على منح الحُبِّ الصادق الطاهر النقيِّ الَّذي لا غشَّ ولا مصلحة ولا أدنيَّة فيه، لا بل هو بنضارتِه وسموِّ أشعَّةِ حُبِّه لعرائسه يَبني هذه القلوب ويُحَرِّرها ويُفرِحها ويجعلُها تخدمُه بأمانةٍ وثقةٍ وثبات).

أجازَتْ لِلَحْظِ الرِحابِ لَهيبًا مُدامًا، يَسيرُ. (سَمَحَتْ سِهامُ الحُبِّ الإلهيِّ لِلَهيبِها أن يَجول بشكلٍ دائمٍ في باطن الرِحاب، أي في باطن الصدر، أي في القلب حيثُ يمتزجُ حُبُّ الحبيب، المسيح، بحُبِّ حبيبته، النَفسُ البشريَّةُ العاشقة. وهكذا، يتنقَّلُ لهيبُ الحُبِّ الإلهيِّ مُطهِّرًا خفايا القلوب وطاردًا منها كلَّ الشوائب وهو يكوي تجعُّدات أشواقها وعواطفها لتستقيم وتتَّحِدَ بشكلٍ دائمٍ بالحُبِّ الإلهيِّ مانح السلام والسعادة الحقيقيَّين).

يُلامِسُ شَهْدَ العروسِ بنَغْمٍ تأنَّى، يُغيرُ. (يَمنحُ هذا اللهيبُ حُبَّ اللهِ وبركتَه لشَهْدِ العروس، أي لقلبِ النَفسِ العاشقة الله، النَفسُ الَّتي يتألَّفُ قلبُها من خلايا تختزنُ فقط ما يُرضي حبيبها الله، كشهد العسل الَّذي لا يُخَزِّنُ إلاَّ العسلَ الصافي النقيَّ الطيِّبَ المذاقِ واللذيذَ الطعمِ والشهيَّ المأكَلِ والذكيَّ الرائحة. وعروسةُ المسيحِ تجتهِدُ كي لا تستقبل بواسطة حواسها الخمس الخارجيَّة وحواسها الباطنيَّة، إلاَّ ما يُرضي حبيبها وعريسها، أي كلَّ ما هو خيِّرٍ وطاهرٍ ونقيٍّ يُثمرُ عطاءً وتضحيةً ومحبَّةً وسلامًا وفرحًا بالرَغم من كلِّ الآلام والتَوجُّع القلبيِّ. عندها، يُغيرُ أي ينسكِبُ حُبُّ الله على هذا القلبِ ويَملَئِكُه بلطفٍ وهدوءٍ وتأنٍّ، كما ينسكبُ نَغْمُ الموسيقى العذب الهادئ كالنسيم على قلوبِ عاشيقيها والمُصغين إليها).

تَذَوَّقْ أيَا قلبُ طعمَ الجِهادِ، وهاكَ النصيرُ. (وفي وسط هذه المعركة الشرسة لإرضاء الحبيب، تُحاربُ النَفسُ العاشقةُ الله في قلبها بشجاعةٍ ضدَّ الأعداء الثلاثة، الخطيئة والموت والشيطان. عندها، بنعمة الحُبِّ الإلهيِّ الَّذي يَجرحُ قلبها وبشوق حُبِّها المُنتظِر الخلاص من الحبيب، تَطردُ الخوف من قلبها وكيانها أوَّلاً لأنَّ الَّذي يُحِبُّ حُبَّ المسيح يتحرَّرُ من الخوف ويرفضُ الظُلمَ والاستعباد مُعلِنًا بشارة الإنجيل وحُرِّية أبناء الله. ثمَّ تطردُ أيضًا، بالنِعمة والشوق، الخطيئة ومصادرها ونتائجها وترفضُ طريق الموت الأبديِّ أي الهلاك وتكفر بالشيطان وبجنوده الملاعين. بعد هذه المعركة الجهاديَّة والمؤلمة والمُوجِعة، تدعو النَفسُ قلبَها ليَتَذَوَّقَ طَعْمَ أَلَمِ الحُبِّ الإلهيِّ ولَهيبَه المُحيي والعذب، فتَحظى بالرُوحِ القُدُسِ نصيرًا لها ومُحرِّرًا إيَّاها من الخوف والاستعباد لتُعلِنَ كلمةِ الحقِّ بمحبَّةٍ وسلام، أي مُعزِّيًا ومُشجِّعًا ومُرشدًا ومُقوِّيًا ومُحاميًا ومُدافعًا عنها وقائدًا على حياتها).

وقدِّسْ جِراحَ الحبيبِ لأنَّ المسيحَ بَشيرُ. (لذلك، أصبح من المُحتَّمِ على هذه النَفس العاشقة الله أنْ تُقدِّسَ وتَعبُدَ جراح حبيبها المسيح المطبوعة في قلبها، لأنَّه بَشَّرَها بالحُبِّ الإلهيِّ الطاهر وغمرها به واهبًا إيَّاها السعادة والحياة السلاميَّة).

إلهي حبيبي تَجَلَّى تعالَى. رجائي يُشيرُ. (إثرَ ذلك، تدعو الحبيبةُ حبيبها يسوع كي يتراءى لها بالقيامة النهائيَّة كما تراءى أوَّلاً لحظةَ قيامته من الموت لأمِّه مريم العذارء البريئة من الدَنَس والدائمة البتوليَّة ووالدة الحُبِّ الإلهيِّ. كذلك، كما أوحى رجاءُ مريم العذراء لها بأنَّ ابنها الوحيد وحبيب نفسها سوف يتنصر على أعدائه بقيامته المجيدة ويتراءى لها بالمجد الإلهيِّ بالرَغم من هول الآلام والإهانات والعذابات الَّتي احتملها على طريق الجلجلة وعلى الصليب، فإنَّ رجاء النَفس العاشقة المسيح حبيبها وعريسها السماويِّ قد أوحى لها أيضًا بأنَّه سيتراءى لها بحُبِّه ومجدِه الإلهيَّين بعد كلِّ العذابات والآلام والأوجاع الَّتي احتملتْها في طريق تطهيرها من أعدائها الثلاثة المذكورين أعلاه).

حريقٌ بقلبيَ يَجرَحُ حُبِّي، لِقائي أسيرُ. (ترائي المسيح الحبيب والعريس لحبيبته وعروسه النَفس البشريَّة العاشقة يجب أن يحصل فورًا، لأنَّ قلبها يَحترِقُ بحُبِّه الإلهيِّ ويَجرَحُ حُبَّها له. لذلك، أضحى لِقاؤها بالحبيب يسوع مأسورًا بهذا الحُبِّ المجروح الَّذي يسيلُ منه عطرٌ مُقدَّسٌ بالحُبِّ السامي يفوح بالحنان والطهارة والعذوبة، والَّذي لا يُشفَى ولا يتعافى إلا بالقيامة مع الحبيب والاتِّحادِ به وبحُبِّه اتِّحادًا نِهائيًّا وكاملاً).

سلامٌ رطيبٌ وروحٌ رهيفٌ وشوقٌ قريرُ. (وبعد القيامة النِهائيَّة، يسود سلامُ المسيح، ويُرِفُّ روحُ اللهِ مُعلنًا الفرحَ الأبديَّ كما رَفرفَ في بداية الخَلقِ فوقَ المياه مُبارِكًا صفاءَ الخلقِ الإلهيِّ، وكما رفرفَ بعد الطوفان فوق المياه مُنطلقًا من سفينة نوح الخلاصيَّة مُعلنًا طهارة الأرض ومُبشِّرًا بمجيء المُخلِّص، وكما رفرفَ فوقَ المسيحِ يسوع لحظة عمادِه في نهر الأردنِّ مُعلنًا زمن الخلاص وانسكاب الحُبِّ الإلهيِّ على البشريَّة. فعند قيامة النَفس العاشقة مع حبيبها المسيح من ظلمة هذه الدنيا، تكون هذه العروس الحبيبة قد وَصَلَتْ إلى مُبتغاها بعد انتظارٍ طويلٍ وشاقٍّ. وهذا لأنَّها في طريق تطهير الحواس والعقل والذاكرة والقلب، كانت تصعدُ جبل الكمال لتصل إلى الكمال بالحُبِّ الإلهيِّ المُطَهِّر من كلِّ النقائص والشوائب والمَضرَّات. وها العروس الحبيبة ترى مباشرة أمام عينيها ما تَشوَّقَت إليه منذ سنينِ عيشها على الأرض، لا بل إنَّها حظيَتْ بالاتِّحاد الكامل والأبديِّ بالحُبِّ الإلهيِّ، ولن يستطيع أحدٌ أن ينزعه منها وعنها).

نشيدَ الحُبِّ السامي أُغَنِّي لكَ يا قديرُ. (لذلك، وبشكلٍ نهائيٍّ وأبديٍّ، لقد انتصرَت هذه العروسُ، العاشقةُ اللهَ الكُلِّيَّ القدرةِ، بحُبِّها السامي، وهي لا تبرحُ تُغَنِّي بحُبٍّ وفرحٍ وسلامٍ، للآبِ السماويِّ، بنعمة حبيبها يسوع المسيح وبإلهامات الروح القُدُس، نشيد الحُبِّ السامي، للأبد. آمين).